كتاب الأسبوع رقم 52

تاريخ الكذب: مقدمة

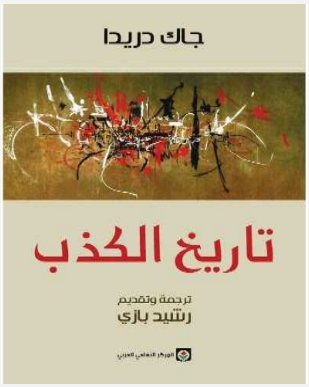

تأليف: جاك دريدا – ترجمة: رشيد بازي

عرض وتلخيص: نوره بنت سليمان الزبن

طالبة دفعة /9- ماجستير علم النفس السريري

قسم الطب النفسي كلية الطب جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل(الدمام سابقا)

إشراف ومراجعة: أ.د. معن عبدالباري قاسم صالح

أستاذ مشارك علم النفس السريري(العيادي)

قسم الطب النفسي كلية الطب جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل(الدمام سابقا)

maansaleh62@yahoo.com

الكتـاب خيـر جليـس

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي . في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية..

هذا الكتاب من تأليف جاك دريدا، Jacques Derrida1930-2004، وهو فيلسوف وناقد أدب فرنسي جزائري المولد . عمل مساعدا في جامعة السربون ثم جامعة جون هوبكنز في امريكا وعدد من الجامعات الامريكية

هذا الكتاب من تأليف جاك دريدا، Jacques Derrida: 1930-2004، وهو فيلسوف وناقد أدب فرنسي جزائري المولد . عمل مساعدا في جامعة السربون ثم جامعة جون هوبكنز في امريكا وعدد من الجامعات الامريكية، صدرهذا الكتاب بطبعته الفرنسية الاولى في عام 2012 بعنوان : "Histoire du mensonge prolégomènes" . وصدرت الطبعة العربية الاولى عن المركزالثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، العام 2016م. و يقع الكتاب في 117صفحة، وهو عبارة عن مقدمة ولهذا ليس بها فهرسة.

مقدمة

الدراسة التي كرسها جاك دريدا لمفهوم الكذب والتي نقدمها هنا منقولة إلى العربية، هي في الأصل محاضرة ألقاها الفيلسوف الفرنسي في الكوليج الدولي للفلسفة بباريس (أبريل1997). وهذه المحاضرة ليست سوى صياغة مختصرة للدروس التي ألقاها في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس.ص-5

الخيط الرابط لتحليلات دريدا – والتي يقدمها على أنها أطروحات تمهيدية ستمكن من بلورة جينيالوجيا تفكيكية لمفهوم الكذب – هو التساؤل حول إمكانية تشكيل تاريخ خاص بالكذب من حيث هو كذلك. فهناك صعوبة لا يمكن تجاهلها إذا عزمنا على القيام بمشروع من هذا القبيل، وهي تكمن في ضرورة التمييز بين تاريخ الكذب كمفهوم وتاريخه في حد ذاته، والذي يحيل على عوامل تاريخية وثقافية تساهم في بلورة الممارسات والأساليب والدوافع التي تتعلق بالكذب، والتي تختلف من حضارة إلى أخرى، بل وحتى داخل الحضارة الواحدة نفسها.ص-5

الخيط الرابط لتحليلات دريدا – والتي يقدمها على أنها أطروحات تمهيدية ستمكن من بلورة جينيالوجيا تفكيكية لمفهوم الكذب – هو التساؤل حول إمكانية تشكيل تاريخ خاص بالكذب من حيث هو كذلك

ضرورة التمييز بين تاريخ الكذب كمفهوم وتاريخه في حد ذاته، والذي يحيل على

بالإضافة إلى هذا، يجب العمل على تحديد أوجه القرابة التي توجد بين الكذب ومفاهيم

أخرى. فيجب على سبيل المثال، التأكيد، على العلاقة العضوية التي تربط الكذب بالوعد ومن ثمة بالحنث. فالكذب هو في خاتمة التحليل إخلال بالوعد الذي أعطاه الكاذب ضمنية للآخرين بقول الحقيقة لهم، وبالتالي فهو يسعى إلى توجيه سلوكهم، أي أن الكذب يتضمن بعدة إنجازي غير قابل للاختزال. ص-6

كما أنه يجب العمل على وضع حدود صارمة بين الكذب والخطأ، ويجب من ثمة الافتراض بأن نقيض الكذب ليس هو الحقيقة أو الواقع، بل الصدق. فالقديس أغسطين يذهب إلى أنه بإمكاننا أن نقول قولا خاطئا دون أن تعتبر كاذبين وذلك إذا كنا نعتقد، عن حسن نية، بأن ما نقول صحيح وألا يكون قصدنا هو خداع الآخرين، كما أنه بإمكاننا أن نقول قولا صحيحا، وأن نعتبر رغم ذلك كاذبين، إذا كان القصد من قولنا هو خداعالآخرين.ص-6

❖ **مفهوم الكذب على الذات (أو الإيحاء الذاتي)**

النتائج التي يستخلصها دريدا من هذه الفرضية تشغل المحاور الرئيسة لتحليلاته. فهو، من جهة، يفترض وجود علاقة جوهرية بين الكذب والقصدية، ويذهب إلى أنه من المستحيل وذلك لاعتبارات بنيوية، البرهنة بالمفهوم الضيق لهذه الكلمة، **ويؤكد، من جهة أخرى، استحالة الكذب على الذات**. هل بإمكان الإنسان أن يقول لذاته وعن قصد أشياء مختلفة عن تلك التي يفكر فيها فعلا، وأن يفعل ذلك قصد خداعها وإلحاق الأذى بها؟ أي كيف يمكن الكذب على الذات دون اعتبارها بمثابة آخر مستقل يجب، كمايرى جان جاك روسو، الالتزام بواجب الصدق اتجاهه؟ ص-7

❖ **(الخرافة والخيال)**

سنقول بأن الأمر يتعلق بالقرائن المرتبطة بفهمنا لكل من الخرافة والخيال أي عودة الأطياف. فبالنسبة إلى اليونان، مفردة(Phantasma)تستعمل لتشمل ظهور الأطياف ورؤية الأشباح أو ما يتعلق بظاهرة عودةالأموات. وكل ما هو خرافي، وكل ما هو خيالي يلتقيان في سمة مشتركة، فكلاهما وبمعناهما الضيق وطبق المفهوم الكلاسيكي والسائد لهما، يستحيل نعتهما بأي واحدة من صفات الصحة والزور والصدق والكذب. فهما ينتميان إلى صنف لا يمكن أبدا اختزاله، وهو أقرب الشبه إلى المظاهر الخداعة وربماحتى التظاهر، ومن ثمة فهو يبقى في طور المخفي، أي المحتمل. فلا يمكن تصنيفه لا في الوجود ولا في العدم، ولا يمكن كذلك إدماجه في ذلك الممكن الذي قد تتمكن الأنطولوجيا أو علم التومئة من الإحاطة به أو الحسم في أمره بصفة نهائية. كما أن الخرافة والخيال، شانهما في ذلك شأن الأسطورة، لا يمكن القطع فيهما بكل يقين بأنهما يطابقان الحقيقة، ولا يمكن اعتبارهما من حيث هما كذلك على أنهما أقوال حقة، كما أنه لا يمكن اعتبارهما كذلك مجرد أخطاء أو خدع أو شهادات زور أو أحناث.**ص-10**

❖ **الفرق بين الكذب والخطأ**

الكذب يختلف تماما عن الخطأ. فبوسعناأن نخطئ وأن نغلط، بل وأن ننطق بكلام خاطئ دون أن يكون الهدف من ذلك خداع الآخرين، أي الكذب عليهم. التجارب المتعلقة بالكذب والخداع والخطأ

(Se tromper)تدخل كلها في إطار مقولة البسودولوجيا. مفردة (Pseudos)في اللغة اليونانية قد تصدق بالإضافة إلى الكذب، على الزور والحيلة والخطأ والخداع والتدليس والإبداع الشعري. وهذه التعددية من شأنها أن تعمق سوء التفاهم الذي يظهر كلما تعلق الأمر بمعرفة ماذا يعني سوء التفاهم.ص-13

❖ **من هو الكذاب؟**

عوامل تاريخية وثقافية تساهم في بلورة الممارسات والأساليب والدوافع التي تتعلق بالكذب، والتي تختلف من حضارة إلى أخرى، بل وحتى داخل الحضارة الواحدة نفسها

الكذب هو في خاتمة التحليل إخلال بالوعد الذي أعطاه الكاذب ضمنية للآخرين بقول الحقيقة لهم، وبالتالي فهو يسعى إلى توجيه سلوكهم، أي أن الكذب يتضمن بعدة إنجازي غير قابل للاختزال

يجب العمل على وضع حدود صارمة بين الكذب والخطأ، ويجب من ثمة الافتراض بأن نقيض الكذب ليس هو الحقيقة أو الواقع، بل الصدق

القديس أغسطين يذهب إلى أنه بإمكاننا أن نقول قولا خاطئا دون أن تعتبر كاذبين وذلك إذا كنا نعتقد، عن حسن نية، بأن ما نقول صحيح وألا يكون قصدنا هو خداع الآخرين

بإمكاننا أن نقول قولا صحيحا، وأن نعتبر رغم ذلك كاذبين، إذا كان القصد من قولنا هو خداعالآخرين

يفترض وجود علاقة جوهرية بين الكذب والقصدية، ويذهب إلى أنه من المستحيل وذلك لاعتبارات بنيوية، البرهنة بالمفهوم الضيق لهذه الكلمة،ويؤكد، من جهة أخرى،

الكذاب ليس فقط هو الذي يملك القدرة على الكذب، بل هو الذي يميل إلى الكذب، وبناء على هذا فهو يختار الكذب ويأتي به عن قصد الأمر الذي يجعله، وهذا يعتبر من طرف أرسطو مأخذ آخر على أفلاطون، أخطر من ذلك الذي يكذب من دون أن يقصد ذلك، هذا إذا افترضنا إمكانية وجود كذاب من هذا النوع.ص-14

❖ الكذب والنية الحسنة!

يجب علينا الأخذ بما تعتزم اللغة الدارجة أو الفلسفة قوله، وإذا وضعنا ثقتنا في اعتزام القول هذا، فالكذب لا يعني على العموم الخطأ والغلط، فبإمكاننا أن نخطئ أو نغلط دون أن نكون قد كذبنا،وقد يحدث أن نمد الآخرين بمعلومات خاطئة، دون أن يعني ذلك أننا كذبنا عليهم. فعندما ننطق بأقوال خاطئة أو مغلوطة ونحن نعتقد أنها صحيحة، ونوصلها إلى الآخرين دون أن نقصد خداعهم، فنحن لا نكذب. فلا يكفي أن نصرح بأقوال أو نعبر عن أفكار وآراء خاطئة نعتقد على الأقل، في قرارة أنفسنا أنها صحيحة لنكون كاذبين . **ص-16**

ومن ثمة يجب علينا التطرق إلى مسألة النية أو النية الحسنة،والتي سبق للقديس أغسطين أن أشار اليها. فهو يقترح التمييز بين الاعتقاد والاقتناع، وهذا التمييز يكتسب بالنسبة لنا اليوم وبصفة متجدده أهمية قصوى. عندما تقول شيئا خاطئ وانت تعتقد او انت على اقتناع بانه صحيح، فأنت لست بكاذب فهناك فرق بين الاعتقاد والاقتناع، فعندما تعتقد فقد يحدث لك أن تحس بأنك على جهل بما يشكل موضوع اعتقادك، وذلك دون أن تشك في حقيقته،لأن إيمانك ثابت، فيحين أن ذلك الذي يعتمد على الاقتناع يظن أنه يعرف ما يجهل فعلا. فعندما تقول شيئا يبدو لك أنه جدير بالاعتقاد، أو أنك على اقتناع بأنه صحيح، فأنت لا تكذب حتى في حالة كون قولك خاطئ.

❖ حقيقة الكذب!

الكذب على الآخرين يتضمن الرغبة في خداعهم، وذلك حتى إذا كانت أقوالنا حقة. والحال أنه بإمكاننا أن ننطق باقوال خاطئة، دون أن نكون كاذبين، وأن نقول أقوالا حقة الهدف منها خداع الآخرين ونكون آنذاك كاذبين.

وعندما نعتقد أن مانقول صحيح ونؤمن به، فلا يمكن أن نكون كاذبين، حتى في حالة كون أقوالنا خاطئة فعندما يؤكد القديس أغسطين بأنه «إذا قال أحد قولا يعتقد أنه صحيح أو هو على اقتناع بأنه حق، فهو لا يكذب حتى في حالة ثبوت خطا ذلك القول، فإنه يستبعد إمكانية كذب الإنسان على نفسه؛ أي أن يرتكب في حق نفسه خطأ ويكون بذلك قد كذب عليها. هذه المسالة سوف ترافقنا طوال الوقت، وسنرجع إليها لاحقا للوقوف على بعدها السياسي المحض: هل بإمكان الإنسان أن يكذب على نفسه؟ وهل يجوز اعتبار كل ما يمكن الإنسان من خداع نفسه أو التحايل عليها كذبة؟ باختصار، كيف يجب فهم فعل «أخطا، - «Se tromper»والذي يتميز في اللغة الفرنسية بخصوبة معانيه والتباسها - أكذبا على الذات أم خطأ؟ص-17

❖ تاريخ الكذب

من الصعب الاعتقاد بأن يكون للكذب تاريخ، ثم من يستطيع رواية تاريخ الكذب؟ ومن بإمكانه الجزم بأن تاريخ الكذب الذي يعد بروايته سيطابق الحقيقة؟ وحتى إذا افترضنا وقمنا بتنازل، لا يجب أن يعني أبدأ تسليمنا، بأنه بإمكان الكذب أن يكون له تاريخ، تبقى عالقة مسألة روايته بدون كذب ودون السقوط في الاختيار السهل، والذي يتمثل في اللجوء إلى نموذج جدلي متفق عليه، ومبني على جعل تاريخ الخطأ يساهم من حيث هو تاريخ وفعل السلبية، في مسلسل

استحالة الكذب على الذات

كل ما هو خرافي، وكل ما هو خيالي يلتقيان في سمة مشتركة، فكلاهما وبمعناهما الضيق وطبق المفهوم الكلاسيكي والسائد لهما، يستحيل نعتهما بأي واحدة من صفات الصحة والزور والصدق والكذب

الكذب يختلف تماما عن الخطأ. فبوسعنا أن نخطئ وأن نغلط، بل وأن ننطق بكلام خاطئ دون أن يكون الهدف من ذلك خداع الآخرين، أي الكذب عليهم

الكذاب ليس فقط هو الذي يملك القدرة على الكذب، بل هو الذي يميل إلى الكذب، وبناء على هذا فهو يختار الكذب ويأتي به عن قصد الأمر

الكذب لا يعني على العموم الخطأ والغلط، فبإمكاننا أن نخطئ أو نغلط دون أن نكون قد كذبنا،وقد يحدث أن نمد الآخرين بمعلومات خاطئة، دون أن يعني ذلك أننا كذبنا عليهم

عندما ننطق بأقوال خاطئة أو مغلوطة ونحن نعتقد أنها صحيحة، ونوصلها إلى الآخرين دون أن نقصد خداعهم، فنحن لا نكذب

الحقيقة وفي عملية إثبات صحة الحقيقة، وذلك قصد الوصول إلى المعرفة المطلقة .ص-18

إذا كان بالإمكان وجود تاريخ خاص بالكذب،أي بشهادة الزور والحنث (على اعتبار أنه لا يمكن للكذب إلا أن يكون حنثا)، وإذا كان كذلك بإمكان هذا التاريخ أن يرتبط بالشر المتمثل في الكذب أو الحنث في كل راديكاليتهما، فليس بإمكانه أن يصبح تابعة لتاريخ الخطأ أو الحقيقة بمفهومهما المتداول خارج أي اعتبار اخلاقي». من جهة أخرى، فإذا كان الكذب يفترض على ما يبدو الابتكار المتعمد لأشياء متخيلة، فليست كل التخيلات والخرافات كاذبة، والشيء نفسه ينطبق على الادب. ص-18

❖ أنواع الكذب

يقترح روسو تصنيفا شاملا لمختلف أنواع الكذب. فإلى جانب الخديعة يوجد التدليس والافتراء وهو أسوئها جميعابالإضافة إلى هذا، فهو يلفت الانتباه إلى أن الكذب، الذي لا يلحق أذى بالذات ولا بالآخرين، أي الكذب البريء لا يعتبر كذبا». فهو على حد تعبيره، تخيلات ولا يمكن لنا اعتبار هذه الأخيرة على أنها كذب، والشيء نفسه يمكن أن يقال، حسب رأيه، عندما نقوم بإخفاء حقيقة لسنا ملزمين بالتصريح بها .

فهذا الإخفاء، والذي يعتبر في الوقت نفسه تظاهرة، يطرح بالنسبة إلى روسو مسائل أخرى. فلنفترض أننا لم نكن بالسكوت وإخفاء الحقيقة التي لسنا مجبورين على التصريح بها، بل صرحنا بعكسها، فهل يجوز آنذاك اعتبارنا كاذبين أم لا؟»، يتساءل روسو ثم يجيب: «وفق التعاريف لا يجوز اعتبارنا كاذبين، فنحن عندما نعطي نقودا زائفة لمن ليس له في ذمتنا شيء، فنحن بالتأكيد نخدعه ولكن لا نختلس منه شيئا وهذا يعني بأن كل تعريف لا نعتبر بمقتضاه كاذبين، ليس تعريفا جيدا. كانط كان سيذهب بأنه عندما نخدع نكون كاذبين، حتى في حالة عدم ارتكابنا أية عملية اختلاس، فبالنسبة إليه الالتزام بالصدق يجب أن يكون حاضرة في كل معاملاتنا مع الآخرين.ص19

(أن تكذب لصالح نفسك، فهذا مستحيل، وأن تكذب لصالح الغير، فهذا تدليس، وان نكذب قصد إلحاق الأذى بالغير، فهذا افتراء، وهذا هو اسوء اصناف الكذب، وأن تكذب دون قصد جلب مصلحة أو إلحاق الأذى بك أو بغيرك فأنت لا تعتبر كاذب، وما تقول ليس بكذب، بل مجرد تخيل).

❖ الكذب على الذات!

فروسو على ما يبدو، يعير هو الآخر اهتماما إلى إمكانية الكذب على الذات والتي سنلجأ إليها لتحديد الحقل المغناطيسي والخط المحدد للإشكالية التي نحن بصددها الآن. هل يجوز الحديث عن الكذب على الذات؟ هل بإمكان الإنسان أن يكذبعلى ذاته؛ أي أن يقول لها وعن قصد شيئا يعي جيدا بأنه هو مخالف لما يفكر فيه حقيقةوهذه العملية تبدو مستحيلة وعبثية وأن يقوم بذلك قصد إلحاق الأذى بذاته والتقصير في حقها،وذلك بالإضرار بها؟ الشيء الذي يفترض وجود واجب يلزم الإنسان اتجاه الذات وكأنها أصبحت شخصا آخر.ص-21

لا يستبعد روسو هذه الإمكانية رغم أنها قد تصبح نوعا من الجنون، وذلك لأنه مباشرة بعد تأكيده أنه في داخل قلبه، غير راضي على هذه التمييزات، يضيف كما أني أقوم بالتقييم بكل عناية لما أنا ملزم به اتجاه الآخرين، على أن أفحص كذلك ما أنا ملزم به اتجاه ذاتي. وكما أني يجب علي أن أكون عادة في تعاملي مع الآخرين، يجب علي أن ألتزم بالصدق في تعاملي مع ذاتي فهذا يمثل من طرف الإنسان الفاضل تشريفة لقدره.ص-22

الكذب على الآخرين يتضمن الرغبة في خداعهم، وذلك حتى إذا كانت أقوالنا حقة. والحال أنه بإمكاننا أن ننطق بأقوال خاطئة، دون أن نكون كاذبين، وأن نقول أقوالا حقة الهدف منها خداع الآخرين ونكون آنذاك كاذبين

هل بإمكان الإنسان أن يكذب على نفسه؟ وهل يجوز اعتبار كل ما يمكن الإنسان من خداع نفسه أو التحايل عليها كذبة؟ باختصار، كيف يجب فهم فعل «أخطأ»

إذا كان الكذب يفترض على ما يبدو الابتكار المتعمد لأشياء متخيلة، فليست كل التخيلات والخرافات كاذبة، والشيء نفسه ينطبق على الادب

يقترح روسو تصنيفا شاملا لمختلف أنواع الكذب. فإلى جانب الخديعة يوجد التدليس والافتراء وهو أسوئها جميعابالإضافة إلى هذا، فهو يلفت الانتباه إلى أن الكذب، الذي لا يلحق أذى بالذات ولا بالآخرين، أي الكذب البريء لا يعتبر كذبا

نحن عندما نعطي نقودا زائفة لمن ليس له في ذمتنا شيء، فنحن بالتأكيد نخدعه ولكن لا نختلس منه شيئا وهذا يعني بأن كل تعريف لا نعتبر بمقتضاه كاذبين، ليس

تعريفا جيدا

أن تكذب لصالح نفسك، فهذا مستحيل، وأن تكذب لصالح الغير، فهذا تدليس، وان تكذب قصد إلحاق الأذى بالغير، فهذا افتراء، وهذا هو اسوء اصناف الكذب

الذي يتوسل الفروق التي قد توجد بين ما قيل وفعل القول واعتزام القول والإمكانات التي تتيحها له اللغة والبلاغة والسياق لكي يقول لنا: فصحيح أني قلت هذا، ولكنه ليس ما كنت أقصد قوله، كانت نيتي حسنة ولم أكن أقصد في قرارة نفسي أن أقول هذا، حصل سوء تفاهم

بدل الحديث عن الكذب يجب الحديث عن فعل الكذب»، فلا وجود بتاتا للكذب، بل الفعل القول أو اعتزام القول والذي نربطه بفعل الكذب

فعل الكذب يعني أننا نتوجه بالكلام إلى الآخرين (فلا يمكن لناالكذب إلا على الآخرين، ومن المستحيل الكذب على الذات إلا في حالة اعتبارها بمثابة آخر

من الضروري أن يكون الكاذب على علم بما يقوم به وما ينوي القيام به عندما يقدم على الكذب، وإلا فهو لا يعتبر كاذباً.ويجب التأكيد منذ الآن على هذا الطابع التعدي

❖ مفهوم الكذب

هل يوجد في ثقافتنا سواء بشكل عملي أو بشكل نظري، مفهوم سائد للكذب؟ ولماذا الإسراع بالتذكير بسماته؟ هذه السمات سأقدمها بطريقتي الخاصة، وآمل أن تكون مطابقة للحقيقة ودقيقة وكافية، وذلك على اعتبار أن المهمة ليست بالسهلة. وحتى في حالة كوني مخطئة فسوف لن أكون كاذبة، إلا في حالتين اثنتين: وهي أن أكون قد تعدت ذلك،أي أني صحت بأشياء مخالفة لتلك التي أفكر بأني أفكر فيها، وأنماقم به، وهذا هو الأهم، يكون قد اساء بطريقة أو بأخرى إلي أنا أو إلى الآخرين. إلا أنه سيكون من الصعب وربما منالمستحيل البرهنة على أن ما أقدمت عليه كان مقصودة مني .ص-24

وأنا في حاجة إلى التأكيد على هذا لأني أرغب في تقديم فرضية منذ الآن، ألا وهي سيكون دائما من المستحيل، وذلك الاعتبارات بنيوية البرهنة، بالمفهوم الضيق لهذه الكلمة، على أن أحد ما كذب، وهذا حتى في حالة إن تمكنا من البرهنة على أنه لم يقل الحقيقة. فلا يمكن لنا بتاتا تقديم أي برهان كفيل بدحض أقوال ذلك الذي قد يقول لنا: نعم، ماقلت كان بعيدة عن الحقيقة وأكون بذلك قد أخطأت، غير أن قصدي لم يكن خداع أي كان، وبالتالي فنيتي كانت حسنة»، أو الذي يتوسل الفروق التي قد توجد بين ما قيل وفعل القول واعتزام القول والإمكانات التي تتيحها له اللغة والبلاغة والسياق لكي يقول لنا: فصحيح أني قلت هذا، ولكنه ليس ما كنث أقصد قوله، كانت نيتي حسنة ولم أكن أقصد في قرارة نفسي أن أقول هذا، حصل سوء تفاهم». لن نستطيع أبدأ دحض تصريحات من هذا القبيل، ويجب علينا استخلاص النتائج المترتبة على هذا الأمر، وهي لا تعد ولاحصى ويجب الاحتراس منها.ص-24

❖ التعريف التقليدي للكذب

سأقدم الآن على تحديد التعريف التقليدي للكذب، وذلك بالطريقة التي أظن من الواجب علي اتباعهاهنا. طبق صيغته السائدة والمتعارف عليها، فلا يمكن اعتبار الكذب على أنه حدث أو حالة؛ إنه فعل مقصود، وبدل الحديث عن الكذب يجب الحديث عن فعل الكذب»، فلا وجود بتاتا للكذب، بل الفعل القول أو اعتزام القول والذي نربطه بفعل الكذب. ص-25

والسؤال الذي يجب علينا طرحه ليس هو ما الكذب؟ ولكن: ما هي طبيعة وما المقصود من فعل الكذب؟ ففعل الكذب يعني أننا نتوجه بالكلام إلى الآخرين (فلا يمكن لناالكذب إلا على الآخرين، ومن المستحيل الكذب على الذات إلا في حالة اعتبارها بمثابة آخر) لكي نسمعه قوة أو مجموعة من الأقوال الإنجازيةأو أقوال المعاينة،نعرف وفق وعي بين وهادف وحالي أنها ادعاءات خاطئة جزئية وربما كليا. هذه المعرفة وهذا العلم وهذا الوعي ضروريين لفعل الكذب. وحضور هذه المعرفة لذاتها لا يتعلق فقط بمحتوى ما يقال(Dit) ،بل كذلك بمحتوى ما نحن ملزمينبه (D) اتجاه الآخرين، بحيث أن فعل الكذب يبدو للكاذب كلية على أنه خيانة وأذى وتقصير في رد دين أو القيام بواجب. من الضروري أن يكون الكاذب على علم بما يقوم به وما ينوي القيام به عندما يقدم على الكذب، وإلا فهو لا يعتبر كاذباً.ويجب التأكيد منذ الآن على هذا الطابع التعدي والمعقد، بل والمتنافر.ص-25

❖ السياسة والكذب!

لنتحدث أولا على تاريخ الكذب. من المعروف أن السياسة تعتبر مجالا خصبة للكذب وهذا ما تشير إليه حنة آرندت في أكثر من مناسبة. يمكن اعتبار اللجوء إلى الكذب إحدى الوسائل الضرورية والمشروعة، ليسفقط لكل من يمتهن السياسة أو يمارس الديماغوجية، بل وكذلك

لممارسة الحكم كيف يمكن تفسير هذا؟ وإلى أي حد يؤثر هذا الأمر في طبيعة وقيمة المجال السياسي من جهة، وفي طبيعة وقيمة الحقيقة والنية الحسنة من جهة أخرى؟بهذه العبارات تبدأ حنة آرندت دراستها المعنونة بـ «السياسة والحقيقة، والتي نشرت لأول مرة بالإنجليزية سنة1967، على شكل مقال ظهر في مجلة نيويورك تايمز، وذلك على خلفية السجال الذي شهدته صفحات الجرائد بعد نشرها ل أيشمان في القدس. وكما يعلم الجميع، فحنة أرندت كلفت نفسها وعلى طريقتها، بمهمة التغطية كصحافية لمحاكمة أيشمان. وقامت بعد ذلك بإدانة مجموعة من الأكاذيب والادعاءات التي قيلت في شأنها من طرف الصحافة على وجه الخصوص. ولقد تطرقت إلى هذا السياق في أول إشارة ظهرت في السياسة والحقيقة. وهي تكون بذلك، قد لفتت الانتباه إلىمفعول وسائل الإعلام، بالإضافة إلى هذا فهي قامت بذلك في نيويورك تايمز، وهي إحدى كبريات الصحف.ص-36

والمعقد، بل والمتنافر

إذا حصرنا عبارةخداع الذات، في معناها الدقيق، سيصبح قبول الفكرة القائلة بإمكان الإنسان أن يكذب على ذاته أمرا بالغ الصعوبة. اتخذت شكل رمال متحركة تستطيع ابتلاع كل قارئ يفكر في وضع هذه المعطيات محك الاختبار

❖ خداع الذات

تحدثت حنه ارندت عن نشر الوثائق في الصحافة الامريكية ابان الحرب الفيتنامية موضحة أن "الفجوة التي كثر الحديث في شأنها والتي تركها فقدان المصداقية الذي عرفناه على مدى ستة سنين بأكملها، تحولت فجأة إلى هوة. فالتصريحات الكاذبة بمختلف أنواعها والخدع بما فيها تلك التي ترمي إلى خداع الذاتواذا أكدت علىعبارة خداع الذات، فلأنها ستكون في صلب إحدى الإشكاليات التي سنتطرق إليها فيما بعد وهي: هل يجوز لنا التحدث عن خداع الذات؟، واستعمالها كمفهوم دقيق وفي محله عندما نركز اهتمامنا على المسالة التي نحن بصدد الحديث عنها هنا وهي تاريخ الكذب؟ إذا حصرنا عبارةخداع الذات، في معناها الدقيق، سيصبح قبول الفكرة القائلة بإمكان الإنسان أن يكذب على ذاته أمرا بالغ الصعوبة. اتخذت شكل رمال متحركة تستطيع ابتلاع كل قارئ يفكر في وضع هذه المعطيات محك الاختبار".ص-37

كيف يمكن أن يكون للكذب تاريخ مستقل في حين أن التاريخ، والتاريخ السياسي على وجه الخصوص، يزخر، كما يعلم الجميع، بالكذب؟

الكذب لم يبلغ حدوده المطلقة ليصبحكاملا ونهائية، إلا في عصرنا هذا، والأمر يتعلق إذن برقي وانتصار الكذب

❖ التاريخ السياسي والكذب!

كيف يمكن أن يكون للكذب تاريخ مستقل في حين أن التاريخ، والتاريخ السياسي على وجه الخصوص، يزخر، كما يعلم الجميع، بالكذب؟ كيف يمكن أن يكون للكذب تاريخ جوهري ولصيق بخصائصه الداخلية في حين أنه عاش من خلال تجارب مشتركة، وبنيته تبدو بديهية والظروف المهيأة لنشوئه لا ترتبط بزمان ولا بمكان محددين؟ مع ذلك تسعى حنه آرندت في السياسة والكذب إلى لفت الانتباه إلى أن تاريخالكذب شهد تحولا يبدو جلية إن على مستوى تاريخ الكذب كمفهوم وإن على مستوىتاريخ مختلف الممارسات التي تشكل فعل الكذب.وبالإضافة إلى هذا، فالكذب لم يبلغ حدوده المطلقة ليصبحكاملا ونهائية، إلا في عصرنا هذا، والأمر يتعلق إذن برقي وانتصار الكذب .ص-38

عندما نحصر اهتمامنا في الفنون والآداب، نجد بانه قد سبق لأوسكار وايلد أن اشتكى مما نعته من خلال عنوانه المعروف، بانحطاط الكذب. وهذا الانحطاط يمكن ملاحظته حسب وايلد لدى السياسيين والمحامين، بل وحتى لدى الصحافيين

وعندما نحصر اهتمامنا في الفنون والآداب، نجد بانه قد سبق لأوسكار وايلد أن اشتكى مما نعته من خلال عنوانه المعروف، بانحطاط الكذب .وهذا الانحطاط يمكن ملاحظته حسب وايلد لدى السياسيين والمحامين، بل وحتى لدى الصحافيين. فمستوى هؤلاء في إتقان الكذب في هبوط مستمر، بل إنهم توقفوا عن ممارسة فن الكذب. فالكذب فن لا يمكن له الاستمرار إلا من خلال ممارسات فنانين، خاصة منهم أولئك الذين يتعاطون للأدب والذي يعتبر أحد فنون الخطاب، إلا أنههو الآخر يجد نفسه مهددا من جراء انحطاط مستوى الكذب. وهكذا يظهر جلية بأنه في حين أن وايلد يشتكي من احتضار الكذب، بدي أرندت قلقها من التضخم والتنامي المفرط للكذب في عالم السياسة، ومن بلوغه إلى حده الأقصى، أي الكذب المطلق. ولا يتعلق الأمر هنا بالمعرفة

يجب علينا الآن توجيه اهتمامنا صوب ظاهرة جديدة نسبية، ألا وهي التلاعب على مستوى واسع بالأحداث والآراء،كما بدأ يظهر جليا من خلال

المطلقة كحد نهائي للتاريخ، بل بالتاريخ وهو يتحول إلى كذب مطلق. كيف يمكن فهم هذا؟ ص-39

❖ الكذب التقليدي والعصري!

"يجب علينا الآن توجيه اهتمامنا صوب ظاهرة جديدة نسبية، ألا وهي التلاعب على مستوى واسع بالأحداث والآراء،كما بدأ يظهر جليا من خلال الطريقة التي عاد بها كتابة التاريخ ويتم خلق الصور، وكذلك في السياسة المتبعة من لدن مختلف الحكومات. فالكذب السياسي بشكله التقليدي، كما يبدو من خلال تاريخ الدبلوماسيات والطبخات السياسية، كان يرتبط عادة إما بأسرار حقيقية، أي معطيات تم إخفاؤها نهائيا على الرأي العام، أو بنوايا لا يمكن لها بأية حال أن ندرك بصفة يقينية بالدرجة نفسها التي تدرك بها الأعمال التي تم القيام بها فعلا [...] نجاعة الأكاذيب السياسية العصرية، لا تظهر من خلال التعامل مع أسرار، بل وقائع معروفة تقريبا من طرف الجميع. وهذا يبدو واضحة من خلال الطريقة التي عاد بها كتابة التاريخ المعاصر على مرأى ومسمع من أولئك الذين عاينوا الأحداث، وكذلك من خلال خلق صور من شتى الأنواع [...]وذلك لأن الصور، على عكس الرسوم الشخصية المرسومة على الطريقة القديمة، لا يطلب منها أن تملق الواقع، ولكن أن تحل محله كلية. ونظرة إلى التقنيات العصرية ووسائل الإعلام، فإنه يصبح من الطبيعي أن يتمتع هذا البديل بأهمية أكبر من تلك التي يحظى بها الأصل.

وبناء على هذا، فالصورة – البديل لم تعد تحيل على أصل تسعى إلى تقديمه، وربما إلى تمثيله بصفة إيجابية، بل إنها تحل محله بصفة إيجابية؛ أي أنه حدث تغيير في حكمها وتحولت من ممثل إلى بديل. ومن ثمة، فمسلسل الكذب ما يمارس في عصرنا هذا، لا يقتصر على مجرد إخفاء وحجب الحقيقة؛ بل يسعىإلى نقض الواقع أو الأرشيفات الأصلية.

وبعبارة أخرى، فغالبا ما يكون الفرق بين الكذب التقليدي والكذب العصري، هو الفرق ذاته الذي يوجد بين الحجب والنقض.ص-42

❖ دراسة حول الكذب

تسعى حنة آرندت إلى التذكير بصفة مطولة بمزية المثال، كمايتحدث عنها كانط وتستشهد على ذلك بنقد الحكم .ص46

ألفكانط هوالآخر دراسة وجيزة (ست صفحات تقريبا) مكثفة ومعقدة حول الكذب .

هذهالصفحات التي ألفها كانط كرد أثناء جدله مع بنجمان كونستان، والذي ينعته بـ «**Der franzisische Philosoph**» ،في حين أن هذا الأخير كان قد تحدث طاعنة في «فيلسوف ألماني»، كما أن النقاش حول الكذب، يجسد في الوقت نفسه، نزاعا بين جنسيات فلسفية. هذه الصفحات تعتبر بالنسبة لي، وإلى جانب مؤلفي الاعترافات البارزة، أي أغسطين وروسو، من بين الدراسات التي شهدها تاريخ الغرب الأكثر راديكالية في تحليلها للكذب، والتي أقدمت بكل قوة على تحديده والتأمل فيه، ومنعه والنهي عنهبصفة لا مشروطة .

إذن، فالأمر يتعلق بتلك الدراسة الجد قصيرة المعنونة بـ (في ما يزعم عن الحق في الكذب لدوافع إنسانية(*1797*)) ، والتي لمتأخذ على العموم حظها من الدراسة، بقدرما أخذته من الشهرة ورغم أنها تستشهد كثيرة بكانط،في المقال الذي أشرت إليه منذ قليل وفي مواضع أخرى، فإن حنة أرندت على حد معرفتي لمتشر أبدا إلى هذه الدراسة، رغمأنها تبقى ضرورية ورهيبة في آن واحد، كما أنه لا يمكن بأية حال اختزالها في المنطق العميق الذي بنت عليه استدلالاتها . ص-47

سوف لن نذهب في قراءتنا لهذا النص، إلى الحد الذي يجب علينا الوصول إليه، إلا أنه

الطريقة التي عاد بها كتابة التاريخ ويتم خلق الصور، وكذلك في السياسة المتبعة من لدن مختلف الحكومات

الكذب السياسي بشكله التقليدي، كما يبدو من خلال تاريخ الدبلوماسيات والطبخات السياسية، كان يرتبط عادة إما بأسرار حقيقية، أي معطيات تم إخفاؤها نهائيا على الرأي العام، أو بنوايا لا يمكن لها بأية حال أن ندرك بصفة يقينية بالدرجة نفسها التي تدرك بها الأعمال التي تم القيام بها فعلا

الكذب السياسي بشكله التقليدي، كما يبدو من خلال تاريخ الدبلوماسيات والطبخات السياسية، كان يرتبط عادة إما بأسرار حقيقية، أي معطيات تم إخفاؤها نهائيا على الرأي العام، أو بنوايا لا يمكن لها بأية حال أن ندرك بصفة يقينية بالدرجة نفسها التي تدرك بها الأعمال التي تم القيام بها فعلا

نجاعة الأكاذيب السياسية العصرية، لا تظهر من خلال التعامل مع أسرار، بل وقائع معروفة تقريبا من طرف الجميع

مسلسل الكذب ما يمارس في عصرنا هذا، لا يقتصر على مجرد إخفاء وحجب الحقيقة؛ بل يسعىإلى نقض الواقع أو الأرشيفات الأصلية

بإمكاننا التأكيد على الطريقة التي اتبعها كانط لتحديد الكذب والحث على الصدق أو الصحة (لأن نقيض الكذب ليس طبعة الحقيقة والواقع ولكن الصدق والصحة، فعل قول الحق واعتزام قول الحق).

التعريف الكانطي للكذب أو للواجب بإلزام الصدق، يبدوقطعية وإلزامية ولا مشروطا إلى حد يتوجب عليه معه إقصاء كل اعتبار تاريخي. يجب على الإنسان أن يقول الحقيقة وأن يلتزم بالصدق في كل الحالات، وكيفما كانت نوعية الافتراضات، ومهما كان الثمن، وكيفما كانت الظروف التاريخية. ومن ثمة، فلا يمكن أبدا الحديث على كذب نافع، يقال من باب التكرم أو الإسداء خدمة، لا وجود ل «الكذب النافع، حسب التعبير الذي استعمله روسو لترجمة التعبير الكلاسيكي ويمتنع كانط عن التناول على أنها مشاكل الضمير، للحالات الصعبة والمقلقة، والتي يبتناولها القديس أغسطين منطلقة غالبا من نماذج مأخوذة من الكتاب المقدس . وعلى ما يبدو،فهو يقصي إمكانية وجود أي محتوى تاريخي، عندما يحدد الصدقبأنه واجب قطعي ومطلق:

(الالتزام بالصدق في التصريحات هو واجب وطني يلزم على الإنسان القيام به اتجاه أي كان ومهما كان الضرر الذي قد ينتج له عن ذلك) .

وعلى الرغم من أن هذا النص لا يحمل طابعا أخلاقيا، بل قانونيا صريحا،ومن أن الموضوع الذي يتناوله – وهذا يبدو من العنوان – هو الحق في الكذب، وعلى الرغم كذلك من أنه يتحدث عن الواجب القانوني لا عن الواجب الأخلاقي، الشيء الذي يبدو من أول وهلة أكثر ملائمة، أو من السهل اختزاله في وجهة نظر تاريخية، فإن كانط ، على ما يبدو ، ينفي كل تاريخانية من التحديد الذي يقدمه للكذب، في حين أن حنة آرندت تعمل هي بالعكسعلى إدخال التاريخانية في الكذب كجوهر وحدث وإنجازية . فعلى الرغم من الطابع الحقوقي لوجهة نظر كانط فهي تبقى قطعية وقانونية أو شبه قانونية بحتة وتجد تفسيرها في هاجس وحيد، وهو ذلك المرتبط بالشروط القطعية للحق والعقد الاجتماعي والمنبع المحض للحق بما أن الكذب يعرف بكل بساطة على أنه تصريح مخالف للحقيقة بطريقة متعمدة يقال للآخرين، فهو ليس في حاجة إلى أن يكون مشروطة بإلحاق الأذى بهم، الشرط الذي يعتمده القانونيون فيتحديدهم للكذب ففي جميع الحالات يلحقالكذب الأذى بالآخرين، والحال أنه عندما لا يلحق الأذى بإنسان معين فهو يلحقه بالإنسانية جمعاء، وذلك لأنه يستبعد منبع الحق يبطل صلاحيتهم ما لاشك فيه، أن كانط يسعى إلى تحديد كل ما يتضمن الكذب من سلبيات من حيث هو كذلك، وفي حضوره ومجردة عن كل اعتبار كيفما كان، وكيفما كانت الدوافع التي تكمن وراءه، والنتائج المترتبة عليه. ص-49

فكانط إذن، كان سيدين لا محالة هزة الجماع المفتعلة ناعتا إياها بالكذب، على اعتبار أنها ترمي عمدة إلى خداع الآخرين، وذلك على الرغم من أنه يفترض بأن الهدف منها هو صالحهم (إذا أردنا تناول العلاقة التي تربط تاريخ الكذب بتاريخ الفوارق التي توجد بين الجنسين وأبعادها الجنسية ومختلف التأويلات التي قدمت لها، فإن الأمر سيتطلب عدةمحاضرات ويتوجب علينافي جميع الحالات أن نأخذ بعين الاعتبار الرابط الجوهري، الذي يوجد بين نموذج الكذب ومختلف التجارب المتعلقة بالمتعة الجنسية).

فكانط يهتم أساسا بمنبع الحق الإنساني، والعلاقات الاجتماعية بصفة عامة؛ أيالضرورة الباطنية الملزمة بقول الحق، وذلك مهمااختلفت أشكال المفعول المتوخي والظروف المحيطة، خارجية كانت أم تاريخية فعندما لاننبذ بطريقة لا مشروطة الكذب، فالنتيجة ستكون زوال المبدأ المؤسس للرابط الاجتماعي، والذي يجمع الإنسانية فيما بينها، وبالتالي سيصبح من المستحيل استمرار المجتمعات. وتجدر الإشارة إلى أن مونتاني سبق وأن قال الشيء نفسه وإن كان بطريقته الخاصةأي اعتبر الكذب في الحقيقة رذيلة لعينة، وذلك على اعتبار أن الإنسان لا يكون إنسانا وعلاقته بالآخر لا يمكن أن تستمرإلا بالكلام.ص50

غالبا ما يكون الفرق بين الكذب التقليدي والكذب العصري، هو الفرق ذاته الذي يوجد بين العجب والنقض

التعريف الكانطي للكذب أو للواجب بإلزام الصدق، يبدوقطعية وإلزامية ولا مشروطا إلى حد يتوجب عليه معه إقصاء كل اعتبار تاريخي

يجب على الإنسان أن يقول الحقيقة وأن يلتزم بالصدق في كل الحالات، وكيفما كانت نوعية الافتراضات، ومهما كان الثمن، وكيفما كانت الظروف التاريخية

الالتزام بالصدق في التصريحات هو واجب وطني يلزم على الإنسان القيام به اتجاه أي كان ومهما كان الضرر الذي قد ينتج له عن ذلك

أن كانط يسعى إلى تحديد كل ما يتضمن الكذب من سلبيات من حيث هو كذلك، وفي حضوره ومجردة عن كل اعتبار كيفما كان، وكيفما كانت الدوافع التي تكمن وراءه، والنتائج المترتبة عليه

كانط يهتم أساسا بمنبع الحق الإنساني، والعلاقات الاجتماعية بصفة عامة؛ أيالضرورة الباطنية الملزمة بقول الحق، وذلك مهمااختلفت أشكال المفعول

المتوخي والظروف المحيطة، خارجية كانت أم تاريخية

عندما لاننبذ بطريقة لا مشروطة الكذب، فالنتيجة ستكون زوال المبدأ المؤسس للرابط الاجتماعي، والذي يجمع الإنسانية فيما بينها، وبالتالي سيصبح من المستحيل استمرار المجتمعات

لا يمكن إرجاع كل الأخطاء إلى الكذب، وهناك فرق بين الخطأ والكذب، وهذا ما سبق لأفلاطون والقديس أغسطين أن أكدا عليه

الكذب مختلف تماما عن الخطأ، أو عن النقص الذي قد يعتري المعلومات أو الخبرات، وهو يستدعي العزم المقصود على إلحاق الأذى، والنوايا السيئة بالنظر إلى العقل الأخلاقي، والعقل الخالص العملي، وليس للتطبيق، وبأنه يتوجه إلى الاعتقاد وليس المعرفة

❖ الفرق بين الكذب والخطأ

فلا يمكن إرجاع كل الأخطاء إلى الكذب، وهناك فرق بين الخطأ والكذب، وهذا ما سبق لأفلاطون والقديس أغسطين أن أكدا عليه بالقوة نفسها فمن المحقق أن مفهوم الكذب له خصوصية قارة، ومن ثمة يجب العمل على تمييزه عن الخطأ والجهل، والأحكام المسبقة، والاستدلال المغلوط، بل وحتى عن النواقص التي قد تعتري المعرفة. وبإمكاننا الذهاب إلى أبعد من ذلك والتأكيد رغم أن هذا من شأنه الزيادة في تعقيد مهمتنا، على وجوب تميزه عن الهفوات الناتجة إن على مستوى العمل أو الفعل والممارسة والتقنيات المعتمدة.

وبناء على هذا، فالكذب مختلف تماما عن الخطأ، أو عن النقص الذي قد يعتري المعلومات أو الخبرات، وهو يستدعي العزم المقصود على إلحاق الأذى، والنوايا السيئة بالنظر إلى العقل الأخلاقي، والعقل الخالص العملي، وليس للتطبيق، وبأنه يتوجه إلى الاعتقاد وليس المعرفة. من هنا يجب الفصل بين مشروع تاريخ الكذب وما يمكن تسميته، بحسب التعبير المستعمل من طرف نيتشه.

❖ التعريف الكلاسيكي للحقيقة

أنها الاستمرار الدائم لـ الاستقرار، فهو بإقصائه لإمكانية الاستمرار الدائم للكذب، يبقى بعيداً عما ندركه بالتجربة: فنحن ندرك جيداً بأن الكذب والمفعول الذي يحدثه (فمفهوم الكذب لا يرتبط فقط بالقصد الذي يكمن وراءه، بل وكذلك بالمفعول الذي إحداثه)، بإمكانهما البقاء، بل ويجب أن يستمرا إلى مالا نهاية، و ان لا يظهرا أبداً على أنهما كذلك. وحتى إذا افترضنا بإن المفعول الذي يحدثه الكذب، أي الصدق عندما يتم فضحه، يتخذ شكل عرض لا يتلاشى أبداً فيجب حتى في هذه الحالة، الإقرار بأن العرض، بحكم منطقه الخاص، يتجاوز كل هذه المتناقضات: نية حسنة/ نية سيئة، مقصود/غير مقصود، إرادي/غير إرادي...إلخ؛ أي ما يمكن تلخيصه في كلمة واحده وهي الكذب.

أنه حقاً كتاب جدير بالقراءة وننصح به كل زملاء الاختصاص في العلوم السلوكية من أطباء النفس وعلماء النفس وطلاب الجامعة والدراسات العليا والباحثين التربويين المهتمين بقضايا علم النفس الشرعي .

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR52MaanHistoireDuMensonge.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الويب

20 عاما من الكفح... 18 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf